

أمي
السيدة عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة

أعداد
المهندس زهدي جمال الدين محمد

أمي

السيدة عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة
بن كعب بن لؤي بن غالب رضي الله تعالى عنها:

مقدمة

الأخطاء التاريخية الشائعة كالأخطاء اللغوية الشائعة، يظن المرء صحتها لذيوعتها وشهرتها وهي ليست صحيحة، وقد يطغى الخطأ على الصحيح بالإصرار عليه: "خطأ شائع خير من صحيح مهجور". بعض الأقوال المأثورة لكثرة ترديدها على الألسنة يخيل لبعضهم أنها آيات قرآنية: "الأقربون أولى بالمعروف"، "كما تكونوا يولى عليكم" "كما تدين تدان" وغيرها. ولو لم يأت الله ﷻ لنا بسيرة نبيه لوط ﷺ في كتابه الكريم لظننا أنه أول من مارس الشذوذ الجنسي أو دعا له في التاريخ، فبدلاً من نسبة كل من يحارب الشذوذ الجنسي إلى لوط أصبح يشتق من اسمه كل أسماء الشذوذ الجنسي وأفعاله "لاط، يلوط، لوطي، اللواط.. إلخ". لا شيء يتعرض للتزوير وتضارب الأقوال كالتاريخ، بحيث يصعب على الناس معرفة الحق من الباطل.

إن تاريخنا الإسلامي مليء بأوهام أصبحت حقائق لا يجرؤ أحد أن يقف طاعناً في صدقها، نتوارثها أباً عن جد ولسان حالنا يقول: "إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مهتدون". ومن هذه الأوهام زواج الرسول ﷺ من السيدة خديجة — عليها السلام — وهي في سن الأربعين.

إن أولاد الرسول ﷺ كلهم، عدا إبراهيم، هم من السيدة خديجة — عليها السلام —، فكيف تحمل امرأة بعد الأربعين ست مرات أو سبعة، ولا سيما أن الروايات كلها تتفق على أن ميلاد السيدة فاطمة الزهراء — رضي الله تعالى عنها — كان بعد البعثة، فإذا تزوج الرسول ﷺ من السيدة خديجة — عليها السلام — وهو في الخامسة والعشرين، ثم بعث وهو في الأربعين، أي بعد خمسة عشر عاماً من زواجه، فتكون السيدة خديجة — عليها السلام — قد ولدتها وقد تجاوز سنها ٥٥ عاماً على أقل تقدير.

قد تحمل المرأة بعد الأربعين مرتين أو ثلاثاً، ولكن أن تحمل كل سنتين حتى سن الخامسة والخمسين أو يزيد فأمر لا يصدق، مما يرجح أن سيدنا محمد ﷺ تزوج السيدة خديجة — عليها السلام — وهي في أواخر العشرينيات من عمرها، ولم تكن تكبره إلا بسنوات قليلة. وانتهاز فرصة هذا الرد لأقول أيضاً إن زواج الرسول ﷺ من السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — وهي لما تبلغ التاسعة فرية تاريخية صدقناها هي الأخرى لأن تقديسنا لكتب التراث أعمانا عن توظيف عقولنا. فانتقاد شيء اتفق عليه آباؤنا الأولون دخيل على ثقافتنا، ولا يجوز في حق حضارتنا المعصومة!.

معلوم أنه لم يكن للعرب تاريخ يؤرخون به قبل العمل بالتاريخ الهجري، وكانوا يتذكرون السنوات بما وقع فيها أو قبلها أو بعدها من أحداث، كعام الفيل، وعام الفجار، أو أيام ربيعة (حرب البسوس)، وأيام قيس (يوم داحس والغبراء، وأيام غيرها)، وعام الهجرة، وعام الفتح، إلخ، بل ظلت هذه العادة متبعة حتى بعد اعتماد التاريخ الهجري، وربما يجهل بعضنا في أي سنة هجرية كان عام الرمادة، ولكننا نعلم أنه حدث في عهد الخليفة الثاني، ولا تزال جداتنا في مصر تعمل بهذه الطريقة إلى اليوم، فهنّ يؤرخن عمر الشخص بمقارنته بعمر شخص آخر، فإلى اليوم لا تعرف والدتي تاريخ ميلادي، كل ما تعرفه أنني ولدت بعد ميلاد أحد أبناء عماتي بثلاثة أشهر، وأن بني وبني أخي الذي يصغرني مباشرة عامين ونصف العام.

أطلق المؤرخون لأقلامهم العنان، في موضوع زواج الرسول ﷺ من السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — في بداية الزواج وأثناء الزواج وبعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

أولاً: فقبل الزواج قالوا:

إن هذا الزواج انتهاك لحرمة الطفولة، واستجابة للوحشية الجنسية، وعبث واضح من رجل كبير بطفلة صغيرة، لا تعرف شيئاً من مآرب الرجال. فذكر ابن الأثير في كتابه الكامل " أن عائشة يوم زواجها كانت صغيرة بنت ست سنين، [الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٠٩]. ثم قال : بني رسول الله ﷺ بعائشة في المدينة وهي ابنة تسع سنين ، ومات عنها وهي ابنة ثمان عشرة سنة. [الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢١٠].

والقصة بهذا العرض تفتح أبواب النقد ، وتثير الشبهات عند من يتصيدون مواطن الطعن في رسول الله ﷺ ، وينتهزون الفرص للحط من قدره بما يكتبون ويتحدثون.

إن مجرد ذكر زواج رجل — أي رجل — بطفلة في سن ست سنوات، يثير عاصفة السخط والاشمئزاز من هذا الرجل.

لكن، إذا ترك أمر السن هذا من غير ذكر، وصار الأمر للعرف والعادة، وتقدير مقتضيات البيئة، فمن السهل أن توجد المبررات التي لا تثير لوماً، ولا تفتح باب الشكوك والشبهات.

ومن التجني في الأحكام أن يوزن الحدث منفصلاً عن زمانه ومكانه، وظروف بيئته.

والآن صار لزاماً على كل باحث أو قارئ ، في موضوع زواج النبي ﷺ من السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — أن يعرف الأمور الآتية :

أولاً — أن كتب السيرة التي قدرت للسيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — تلك السن الصغيرة عند زواج النبي ﷺ بها ، روت — بجانب هذا التقدير — أمراً أجمع، الرواة على وقوعه ، وهو أن السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — كانت مخطوبة قبل خطبتها من رسول الله ﷺ إلى رجل آخر هو " جبير بن مطعم بن عدي " الذي ظل على دين قومه إلى السنة العاشرة للهجرة ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من رواة الحديث .

فمتى خطبها "المطعم بن عدي" لابنه جبير؟

ليس معقولا أن يكون خطبها وأبو بكر ﷺ مسلم وال بيته مسلمون ، لأن مصاهرة غير المسلمين حرام ، و تمنعها الخصومة الشديدة والصراع العنيف بين المشركين والمسلمين ، وعليه فالغالب — بل المحتم — إذن أن تكون هذه الخطبة قبل بعثة الرسول ﷺ ، أي قبل ثلاثة عشر عاما قضاها الرسول ﷺ في مكة.

فإذا بني بها الرسول ﷺ في العام الثاني للهجرة، تكون سنها — إذ ذاك — قد جاوزت الرابعة عشرة، وهذا على فرض أن "المطعم بن عدي" خطبها لابنه في يوم مولدها، وهذا بعيد كل البعد أن تخطب البنت في يوم مولدها !

ثانيا — أن "خولة بنت حكيم" زوج عثمان بن مظعون ﷺ، التي كانت تحمل هم الرسول ﷺ وتديم التفكير في شأنه بعد وفاة السيدة خديجة — عليها السلام — حين ذهبت إلى النبي ﷺ لتخرجه من شجوه و أحزانه ، وتقول له : أفلا تزوجت يا رسول الله لتسلو بعض حزنك : وتؤنس وحدتك بعد خديجة ؟ وسألها رسول الله ﷺ : من تريدين يا خولة ؟ قالت : "سودة بنت زمعة" أو "عائشة بنت أبي بكر". والآن يستطيع القارئ أن يفهم، أن خولة حين قدمت السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — مع سودة لرسول الله ﷺ، كانت تعتقد أن كليهما تصلح للزواج من رسول الله ﷺ ، وتسد الفراغ الذي كان يشقى به بعد موت السيدة خديجة — عليها السلام — وكانت السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — بكراً ، والسيدة سودة — رضي الله تعالى عنها — ثيبا متقدمة في السن ، فبمجرد العرض على رسول الله ﷺ بهذه الصورة — عرض زوجتين إحداهما متقدمة في السن وكانت تحت رجل آخر، والثانية كانت بكرا — مجرد هذا العرض — يدل على أن خولة بنت حكيم — نفسها — تشعر بأن كليهما صالحة تماما لأن تكون زوجة .

ومعنى ذلك أن السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — كانت في نمائها ونضوجها واضحة المعالم الأنثوية في نظر خولة على الأقل ، وهي العارفة بمآرب الرجال في النساء .
ثالثا — كذلك نجد أن السيدة "أم رومان بنت عمير بن عامر" والددة السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — كان اغتباطها شديدا عندما فسخت خطبة عائشة من "جبير بن المطعم" كما طفرت بها الفرحه، لما علمت أن رسول الله ﷺ قبل زواجها ، وقالت لأبي بكر ﷺ: " هذه ابنتك عائشة ، قد أذهب الله من طريقها جبيراً وأهل جبير، فادفعها إلى رسول الله ﷺ ، تلق الخير والبركة.

إن الأم حين تطلب لفتاتها الزواج ، تكون أعرف الناس بعلامات النضج في ابنتها ، وتدرك ثورة الأنوثة في وليدتها ، فتبدأ تتشوق إلى اليوم الذي ترى فيه ابنتها في زفافها ، وتحن إلى

زوج يكون لابنتها مصدر سعادة، يريها الحياة من نافذة الأسرة، ويدخل بها الدنيا من باب الأمهات .

كان زواج السيدة عائشة — وهي في سنها المبكرة — زواج كرامة وتكريم لأبي بكر رضي الله عنه كما كان يراد به أيضاً توثيق الصلات بين تلك الفئة القليلة من المؤمنين بالله ، وسط غيابة الكفر العمياء، والأهم من ذلك أنه لم تدهش مكة حينما أعلن نبأ المصاهرة بين أعز صاحبين وأوفى صديقين ، بل استقبلته كما تستقبل أمراً طبيعياً مألوفاً ومتوقفاً ، ولم يجد فيها أي رجل من أعداء رسول الله ﷺ أنفسهم موضعاً لمقال ، بل لم يدر بخلد واحدٍ من خصومه الألداء أن يتخذ من زواجه ﷺ بالسيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — مطعناً أو منفذاً للتجريح والاتهام وهم الذين لم يتركوا سبيلاً للطعن عليه إلا وقد سلكوه حتى ولو كان بهتاناً وزوراً .

وقد ذكر ابن كثير في "البداية والنهاية" أن السيدة أسماء بنت أبي بكر — رضي الله تعالى عنها — كانت تكبر أختها السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — بعشر سنوات — البداية والنهاية، المجلد الرابع، الجزء الثامن، ص ٣١٥، (دار المنار، القاهرة، ٢٠٠١)، هناك عدة طباعات لهذا الكتاب وبإمكان القارئ البحث في باب ترجمة أسماء بنت أبي بكر الصديق — وقد توفيت السيدة أسماء — رضي الله تعالى عنها — عام ٧٣ هجرية عن عمر يناهز مائة سنة، كما جاء في "البداية والنهاية" وفي "الأعلام" للزركلي، وغيرهما من كتب الأعلام والتاريخ، ومن ثم يكون عمر السيدة أسماء بنت الصديق — رضي الله تعالى عنها — عام الهجرة ٢٧ عاماً، فكيف يكون عمر أختها التي تصغرها بعشر سنوات تسع سنوات في العام نفسه؟، لو حسبنا الأمر، لأتضح لنا أن الرسول ﷺ خطب أو تزوج السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — وعمرها ١٧ عاماً تقريباً، ودخل بها بعد بدر وعمرها ١٩ عاماً، وهذا هو الأقرب إلى الصواب وإلى سيرة رسولنا الكريم ﷺ.

وعليه يمكننا استقراء التاريخ كالتالي:

[١] أسلمت السيدة أسماء — رضي الله تعالى عنها — بمكة وكان عمرها آنذاك خمسة عشر سنة، إذ علمنا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه وعائلته كانوا من أوائل الذين أسلموا وقفنا على أن السيدة أسماء — رضي الله تعالى عنها — إذا ولدت قبل البعثة بخمسة عشر سنة على الأقل .

[٢] هي أكبر من أختها عائشة أم المؤمنين بعشر سنين، يستتبع ذلك أن عمر السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — قبل البعثة كان نحو خمس سنوات على الأقل، ولعل الإشارة في روايتها بأنها كانت ذات ستة سنوات حين خطبها رسول الله ﷺ كانت خطأ من الراوي، فلعلها قصدت أنها كانت ابنة ستة سنوات حين بعث النبي ﷺ .

[٣] إذا أضفنا ٥ - ٦ سنوات وهو عمر السيدة عائشة - رضي الله تعالى عنها - التقريبي حين البعثة إلى ١٣ سنة هو عمر المرحلة المكية يكون الناتج هو ١٨ - ١٩ سنة وهو يمثل عمرها في المدينة بعد الهجرة .

[٤] لما كان عمر السيدة فاطمة - رضي الله تعالى عنها - هو ١٨ سنة في ذلك الحين، نستطيع القول أن عمر السيدة عائشة - رضي الله تعالى عنها - التقريبي حين زواجها لم يكن يقل عن ١٩ سنة، وهو يمثل الحد الأدنى لعمرها من خلال الاستقراء لما بين يدي من مصادر . لقد شاع سن زواج السيدة عائشة - رضي الله تعالى عنها - وهي بنت تسع سنوات كما شاع سن زواج السيدة خديجة - عليها السلام - وهي في الأربعين، لأن الرواية المشهورة عندنا لا تتعرض للتحقيق والتدقيق، فلو نظر ابن كثير جيداً لترجمته للسيدة عائشة ولأختها السيدة أسماء - رضي الله تعالى عنهما - لتبين له تناقضاته في الترجمتين.

كل تواريخ ميلاد أولئك الذين عاصروا الرسول ﷺ، هي من اجتهادات المؤرخين حسب اطلاعاتهم على الوقائع والأحداث، ولكنها لا ترقى أبداً إلى درجة اليقين، فلا كان للسيدة عائشة - رضي الله تعالى عنها - شهادة ميلاد رسمية محفوظة في خزائن الآستانة، ولا نعرف لأبيها الصديق ﷺ كتيب (دفتر) عائلة صادراً من بلدية مكة ومحفوظاً اليوم في متحف اللوفر لكي نصدق أن رسولنا الكريم ﷺ تزوج من بنت في التاسعة من عمرها.

أحاول الآن أن أفكر بصوت مرتفع لاستقراء عمر أم المؤمنين السيدة خديجة - عليها السلام - و أم المؤمنين السيدة عائشة - رضي الله تعالى عنها - استقراء تاريخياً بعيداً عن الضبابية التاريخية التي أغرقنا فيها من لا عقل له من الذين روجوا لمقولة أن النبي ﷺ حينما كان في الخامسة والعشرين من عمره تزوج بمن تكبره بخمسة عشر من السنين، و حينما أصبح في الثالثة والخمسين تزوج بمن تصغره بأربع وأربعين عاماً. ولنبدأ بالسيدة خديجة - عليها السلام - ولننتهي بالسيدة عائشة - رضي الله تعالى عنها .

أولاً: عمر أم المؤمنين السيدة خديجة - عليها السلام -

ذكر المؤرخون ثمانية أقوال في عمرها - عليها السلام - على الوجه التالي :

١ - ٢٥ سنة

صححه البيهقي في دلائل النبوة ٢/٧١ : طبعة دار الكتب العلمية

٢ - ٢٨ سنة

شذرات الذهب : ١٤/١

مستدرک الحاكم: ١٨٢/٣

تاريخ الخميس : ٢٦٤/١

٣ — ٣٠ سنة

السيرة الحلبية: ١٤٠/١

تهذيب تاريخ دمشق: ٢٠٣/١

٤ — ٣٥ سنة

البداية و النهاية ٢/٢٩٥ :

السيرة النبوية لابن كثير: ٢٦٥/١

٥ — ٤٠ سنة

انساب الأشراف (قسم حياة النبي) ص ٩٨

المواهب اللدنية : ٣٨/١ و ٢٠٢

٦ — ٤٤ سنة

تهذيب تاريخ دمشق: ٣٠٣/١

٧ — ٤٥ سنة

تهذيب الأسماء ٢/٣٤٢ :

تاريخ الخميس : ٣٠١/١

٨ — ٤٦ سنة

انساب الأشراف (قسم حياة النبي) ص ٩٨

وبالرغم من وجود روايات تفيد أنها كانت في منتصف أو أواخر العشرينات، كروايتي البيهقي الشافعي والحاكم النيسابوري، إلا أن المؤرخين تغاضوا عنها لصالح روايات أوائل أو منتصف الأربعينات .

ما دام عمرها ليس مذكورا في القرآن فلنستدل عليه إذا عقلا من خلال استقراء الظروف والملابسات التاريخية.

١ — العرب كانوا يزوجون بناتهم في سن صغيرة نسبيا — لكن ليس في سن الطفولة بطبيعة الحال — ولا سيما أن كانت الفتاة أو السيدة محظية بجمال أو دلال أو جاه أو مال. والسيدة خديجة — عليها السلام — كانت من بيت عريق، وقد كان أبوها خويلد من زعماء العرب الذين تصدوا للتبع اليماني الملك تبان أسعد حينما أراد غزو مكة، وطبيعي أن تتزوج تلك الشريفة القرشية في سن مبكر .

٢ — أنجبت السيدة خديجة — عليها السلام — لرسول الله ﷺ القاسم وعبد الله — الملقب بالطاهر والطيب — وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة وهذا يدل على أننا أمام امرأة في سني

خصوصيتها الأولى وليس أمام امرأة قد بلغت سن توقف الإنجاب أو تجاوزته أو سبقته بقليل.
٣- إذا كان لدينا من النصوص ما يؤيد هذه الشواهد التاريخية والطبيعية فلماذا نقهرها لصالح روايات لا ترتقي للدقة؟.

خذ مثلاً الرواية التي رواها الحاكم النيسابوري - وهو بالمناسبة غير الحاكم الجشمي المعتزلي صاحب رسالة إبليس - في مستدرکه على صحيح البخاري ومسلم :
أخبرني أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أحمد بن محمد بن أيوب، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق: أن أبا طالب وخديجة بنت خويلد، هلكا في عام واحد، وذلك قبل مهاجر النبي ﷺ إلى المدينة، بثلاث سنين، ودفنت خديجة بالحنون، ونزل في قبرها رسول الله ﷺ وكان لها يوم تزوجها ثمان وعشرون سنة .
أو رواية البيهقي، والتي تفيد أنها كانت ابنة خمس وعشرين ربعا حين تزوجها محمد ذو الخمس وعشرين ربعا أيضا .

ثانيا: عمر أم المؤمنين السيدة عائشة - رضي الله تعالى عنها -

ذكر المؤرخون أن السيدة عائشة - رضي الله تعالى عنها - كانت مخطوبة لمطعم بن عدي قبل أن يخطبها رسول الله ﷺ.

السؤال الآن: متى خطبها عدي لابنه مطعم؟ تسكت المصادر التاريخية !!!
في هذه الحالة نستقرئ الأحداث .

الاحتمال الأول : أن يكون خطبها بعد البعثة النبوية وهو أمر مستبعد نظرا للعداء الشديد من قبل الكافرين برسالة محمد ﷺ تجاه المؤمنين بها ولا سيما أن السيدة عائشة هي بنت أبي بكر صديق الرسول ﷺ ومن أوائل المؤمنين برسالته، ومن المستبعد إذا أن يخطب عدي عائشة لابنه وأبوها من المؤمنين الأول .

الاحتمال الثاني : أن يكون خطبها قبل البعثة وهو الاحتمال الأقوى، ولكنه يثير سؤالا هاما: كم كان عمرها قبل البعثة؟ عام؟ عامين؟ خمسة؟ عشرة؟ يسكت التاريخ كما سكت من قبل، إذاً نلجأ لبعض الفرضيات :

الفرضية الأولى: خطبها عدي لابنه مطعم قبل البعثة حين كان عمرها خمسة عشر سنة - مثلاً، بموجب هذه الفرضية يكون عمر عائشة حين تزوجها الرسول الكريم ﷺ هو ٢٨ سنة، حيث أن النبي تزوجها بعد الهجرة إلى يثرب وأنه أقام في مكة ثلاثة عشر من السنين خلال الدعوة المكية قبل الهجرة .

الفرضية الثانية: خطبها عدي لابنه مطعم قبل البعثة حين كان عمرها عشر سنين — مثلاً. بموجب هذه الفرضية يكون عمر السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — حين تزوجها الرسول الكريم ﷺ هو ٢٣ سنة .

الفرضية الثالثة: خطبها عدي لابنه مطعم قبل البعثة حين كان عمرها خمس سنوات — مثلاً. بموجب هذه الفرضية يكون عمر السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — حين تزوجها الرسول الكريم ﷺ هو ١٨ سنة .

الفرضية الرابعة: الفرضية الثالثة: خطبها عدي لابنه مطعم قبل البعثة حين كان عمرها سنة واحدة فقط — مثلاً وهو أمر غير ممكن طبعاً ولكن لنفترضه، بموجب هذه الفرضية يكون عمر السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — حين تزوجها الرسول الكريم ﷺ هو ١٤ سنة، وهو أكبر من الرقم الذي ذكره بخمس سنين .

إذاً فرضية التسع سنوات مرفوضة تماماً انطلاقاً من هذا الاستقراء وأصبح المجال مفتوحاً للترجيح، فما هو؟.

إن الرسول ﷺ — في تقديري — لن يتزوج بفتاة في عمر ابنته الصغرى أو أصغر منها، فإذا علمنا أن السيدة فاطمة — رضي الله تعالى عنها — ولدت قبل البعثة بخمس سنين نعرف أن عمرها بعد الهجرة يصبح ١٨ عاماً، وعلى هذا فأنا أرجح أن يكون عمر السيدة عائشة أكبر من عمر السيدة فاطمة — رضي الله تعالى عنهما — ومن ثم فإنني أرجح احدي الفرضيتين : **الأولى ٢٨ سنة أو الثانية ٢٣ سنة .**

هناك أمر آخر قد لا ينتبه إليه أحد وهو أنها رضي الله تعالى عنها حين تزوجها رسول الله ﷺ طلبت منه أن تكنى فكيف تكنى بأم ولد وهي مازلت طفلة عمرها تسع سنين؟. لقد روى أبو داود وغيره بالأسانيد الصحيحة (الأذكار النووية ص ٢٩٥) عن عائشة: أنها قالت: يا رسول الله، كل صواحي (أو كل نسائك، أو كنيت نساءك فأكنني، أو) لهن كنى. قال: فاكنتي بابنك عبد الله.

قال الراوي: يعني عبد الله بن الزبير، وهو ابن أختها أسماء بنت أبي بكر . وكانت عائشة تكنى بأم عبد الله حتى ماتت .

أضاف أحمد والصنعاني، وأبو نعيم: قوله: ولم تلد قط(سنن أبي داود ج ٤ ص ٢٩٤ بعدة أسانيد والأذكار النووية ص ٢٩٥، والمعجم الكبير للطبراني ج ٢٣ ص ١٨ بعدة أسانيد، وكنز العمال ج ١٦ ص ٤٢٤ ومسند أحمد ج ٦).

٢— وفي نص آخر: أنه قال لها: اكنتي بابنك، يعني عبد الله بن الزبير، فكانت تكنى أم عبد الله. (الأدب المفرد ص ١٢٥ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ١٦٤ وصفة الصفوة ج ٢ ص ١٥ ومسند أحمد ج ٦ ص ١٨٦).

٣- وعنهما قالت: كناني النبي ﷺ أم عبد الله، ولم يكن ولد لي قط (المعجم الكبير ج ٢٣ ص ١٨).

٤- وقد حددت وقت تكنيتها بذلك، حيث روي عنها: لما ولد عبد الله بن الزبير أتيت به رسول الله ﷺ فتفل في فيه، فكان أول شيء دخل في جوفه، وقال: هو عبد الله، وأنت أم عبد الله.

أضاف ابن حبان قولها: فما زلت أكنى بها، وما ولدت قط.

(سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ١٦٤ والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج ١٦ ص ٥٥٤ وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ج ٤ ص ٣٩٢ و٣٩٣، عن ابن سعد وابن حبان وقال: وله طرق كثيرة عنها وراجع: معرفة علوم الحديث ص ١٩٠).

٥- وفي نص آخر عنها: أنها قالت: يا رسول الله، كل نسائك لها كنية غيري، قال: أنت أم عبد الله (مسند احمد ج ٦ ص ١٨٦).

٦- وحسب نص الحلبية: أنه ﷺ قال لعائشة: «هو عبد الله، وأنت أم عبد الله، قالت: فما زلت أكتني به، أي وكان يدعوها أمًا، لأنه تربى في حجرها» (السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣١٤، وذكر أخبار أصبهان ج ١ ص ٣١٥ و ٩٣ والمصنف للصنعاني ج ١١ ص ٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ١٨ وراجع: الغدير ج ٦ ص ٣١٥ وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٦٤ و ٦٣).

ويستحيل مما سبق كله ان تكنى السيدة عائشة بأُم عبد الله وهي طفلة في التاسعة من عمرها.

الخلاصة

طبقاً لاستقراء التاريخ من خلال تاريخ ميلاد السيدة أسماء والذي تبين لنا فيه أن عمر السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها كان ١٩ سنة حين عقد عليها رسول الله ﷺ نجده يتماشي مع ما هو مذكور في المعارف لابن قتيبة حيث يذكر ابن قتيبة أن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قد توفيت سنة ثمان وخمسين هجرية، وعند غيره سنة سبع وخمسين هجرية، وقد تجاوزت السابعة و السبعين — المعارف لابن قتيبة ص ٥٩—.

وذكرت دائرة المعارف الأمريكية أن وفاة السيدة عائشة — رضي الله تعالى — عنها كان يوم الثلاثاء ١٧ رمضان سنة ٨٥ هجرية الموافق ١٢ يوليو سنة ٦٧٨ ميلادية عن عمر ٦٦ سنة.

راجع المصادر التالية :المعجم الكبير للطبراني ج ٢٣ ص ٢٣ و ٢٤ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤١١ و ٤١٢ ط الاستقامة والمنتظم ج ٣ ص ١٦ و ١٧ ومسند أحمد ج ٦ ص ٢١٠ و ٢١١ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٤١١ و ٤١٢ ط دار الكتب العلمية، وراجع: مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٢٥ و ٢٢٧ و ٢٢٦ عن الطبراني وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٥ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٤٨ وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ج ٤ ص ٣٨١ و ٣٨٢ عن أحمد والسيرة النبوية

لدحلان ج ١ ص ١٣٩ و ١٤٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٢ او ٤٣ او ١٤١ عن أحمد والبيهقي والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ١٦٥ و ١٦٦.

ثانياً: أثناء الزواج كان حديث الإفك

وحديث الإفك من أخطر ما واجه رسول الله ﷺ من الأهوال والصعاب، فالمنافقون كانوا يقصدون من ورائه إلى محاربة النبي ﷺ بإساءة سمعته. قد يحارب الإنسان إنساناً عن طريق مقاومته، وأحياناً يحاربه عن طريق تشويه سمعته، فحديث الإفك بشكل أو بآخر محاولة من المنافقين لتشويه سمعة النبي ﷺ ، ومع تشويه سمعة النبي القصد البعيد تشويه هذا الدين الحنيف، فالمعركة بين الحق والباطل معركة أزلية أبدية، فكل واحد له ولاء؛ أهل الإيمان يوالون الإيمان والمؤمنين والحق، وأهل الفسق والفجور يوالون بعضهم بعضاً، فينبغي أن يعرف الإنسان هو مع من ؟، فالذي يوالي المؤمنين ويتبرأ من الكفار والمنافقين ، مؤمنٌ ورب الكعبة؛ أما الذي له ولاءٌ لغير المؤمنين هذا في إيمانه ضعف .

لذلك فالمنافقون أرادوا أن يشوهوا هذا الدين عن طريق تشويه سمعة النبي ﷺ من خلال اتهام زوجته بالفاحشة .

متى جاء حديث الإفك ؟ بعد أن قال عبد الله بن أبي بن سلول للنبي وأصحابه : " سمّن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذل "، يقصد الأعز هو ومن معه، والأذل يقصد به النبي ﷺ والمهاجرين .

قال هذا المنافق رئيس المنافقين: " ماذا فعلتم بأنفسكم؟ أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير بلادكم ".

عملية تهجير، فالهدف البعيد جداً من حديث الإفك تهجير المهاجرين إلى بلادٍ أخرى، عن طريق تشويه سمعة الدين، من خلال تشويه سمعة النبي ﷺ من خلال اتهام زوجته الطاهرة بالفاحشة ..

يقول سبحانه وتعالى في سورة الطارق: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۖ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۚ﴾

﴿فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ ۖ رُوَيْدًا ۚ﴾

فماذا يعني من هذا الموضوع ؟ أنت كمؤمن وطّن نفسك أن هناك من يناوئك ، هناك من يطعن في نزاقتك ، هناك من يريد أن يشوّه سمعتك ، الدنيا دار ابتلاء وليست دار جزاء ، والإنسان يرقى على قدر ما يُبتلى به .

وخبر حديث الإفك ورد في الصحاح ، تقول السيدة عائشة رضوان الله عليها :

[كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأَيَّتَهُن خرج سهمها خرج بها معه ، فلَمَّا كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهن فخرج بي رسول الله ..] .

هناك حكمة بالغة من اصطحاب الزوجة في السفر يعرفها المتزوجون ، النبي ﷺ في أقواله ، وفي أفعاله ، وفي إقراره ، وفي صفاته مشرّع ، فكان إذا أراد سفراً — حتى ولو كان السفر غزوة — أقرع بين نسائه ، فأَيَّتَهُن خرج سهمها ، صاحبها معه . قالت السيدة عائشة : [... وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العَلَق — والعَلَق ما فيه بلغة من الطعام، أي طعامهن قليل ، إذا أوزانهن خفيفة — لم يهيجهن اللحم فينقلن — أي أن نساء الصحابة كنّ نحيلات — وكنت إذا رُحِّلَ بعيري جلست في هودجي ، ثم يأتي القوم الذين يرحلون هودجي في بعيري ، يحملونني، فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه على ظهر البعير ، فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون بي] .

كلام واضح ؛ كان هناك هودج تجلس فيه ، يرفعه رجلان ، يضعانه فوق ظهر الجمل ، يربطانه ، ثم يأخذان بخطام البعير ، ويقودان هذا البعير في مسيرة الجيش . قالت السيدة عائشة :

[... فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من سفره، وجّه قافلاً حتى إذا كان قريباً من المدينة، نزل منزلاً فبات فيه بعض الليل، ثم أذن في الناس بالرحيل، فلما ارتحل الناس خرجت لبعض حاجتي ...] .

هناك عشرات الاحتمالات التي كان من الممكن ألا يقع حديث الإفك، لكن الأحداث التي وقعت في عهد النبي ﷺ أحداثٌ مقصودةٌ لذاتها ، لم يقع حدثٌ صدفةً ، بل كل حدث مركز مقصود لذاته، ليقف النبي ﷺ الموقف الكامل ، فيكون موقفه تشريعاً ، فقالت هذه السيدة الجليلة : [... ثم أذن في الناس بالرحيل، فلما ارتحل الناس خرجت لبعض حاجتي، وفي عنقي عقدٌ لي ...] . لو أنها لم تشعر بحاجةٍ إلى قضاء الحاجة لما خرجت، ولم يكن حديث الإفك ..

يقول سبحانه وتعالى في سورة النور ١١: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ ﴾ .

قالت :

[... خرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقدٌ لي ، فلما فرغت ، انسل من عنقي ولا أدري — انقطع خيط العقد فوق في الأرض ، لو كان الخيط ثخيناً أو متيناً لما انقطع ، لو لم ينقطع هذا الخيط لما كان حديث الإفك ، لو لم تشعر بحاجةٍ إلى قضاء الحاجة لما كان حديث الإفك — فلما رجعتُ إلى الرحل ذهبتُ ألتمسه في عنقي فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل — قالت

: — فرجعت ألتمسه حتى وجدته ، وجاءوا خلاف القوم الذين كانوا يرحلون لي البعير ، فأخذوا الهودج وهم يظنون أنني فيه كما كنت أصنع... [.

وزنها خفيف جداً لم ينتبهوا ، فلو انتبهوا لما كان حديث الإفك — لو انتبهوا أن الهودج خفيف لما كان حديث الإفك — لو أنها تبحث عن العقد في مكان قريب لما كان حديث الإفك ، لو أنهم رأوا شخصاً من بعيد ، لتفقدوها ، وذهبوا إليها ولما كان حديث الإفك ، معنى ذلك الحدث مقصود لذاته .

أحياناً تقع معك مشكلة؛ لو لم أسافر لما كانت، لو لم أسلك هذا الطريق لما كانت، لو لم أركب هذه المركبة لما كانت، لو لم تظهر لي حاجة للسفر لما كانت.

فلذلك...

" لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ إِخْطِئَهُ وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبْهُ "

شيء مريح جداً أن تقول : إذا شاء الله أمراً فعله ..

"... فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ "

أي أنك حينما تكون مؤمناً تلغي من قاموسك كلمة لو ، فكأنها غير موجودة ، الشدة النفسية تأتي من الندم ؛ فلا ندم ، ولا تمنى ، ولا حسرة ، ولا حزن ، كل هذه المعاني غير موجودة ، فهذا حديث مهم جداً ، أحياناً التعليم عن طريق الأفعال أقوى من الأقوال ، لغة العمل أبلغ من لغة القول .

كان من الممكن ألا يقع هذا الحديث ، لأكثر من عشرين سبب ، لكن الأحداث التي وقعت في عهد النبي ﷺ؛ أحداث مقصودة لذاتها لتكون تشريعاً ، ولتكون السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — قدوة لكل امرأة في الأرض أصيبت بسمعتها .

[... فأخذوا الهودج وهم يظنون أنني فيه كما أصنع، فاحتملوه، فشدوه على البعير، ولم يشكوا أنني فيه، ورجعت إلى العسكر وما فيه داع ولا مجيب، قد انطلق الناس...] .

معنى ذلك أنها ابتعدت، فلما رجعت مكان الهودج رأت الناس قد ارتحلوا، لا سميع ولا مجيب ولا قريب. قالت :

[... فتألففت بجلبابي ثم اضطجعتُ في مكاني الذي ذهبت إليه ، وعرفت أن قد لو افتقدوني رجعوا إلي ... — فقد كانت حكيمة، لعلمهم يفتقدونها بعد حين فيرجعوا إلى المكان الذي انطلقوا منه — قالت :

[... فوالله إني لمضطجعة إذ مرَّ بي صفوان بن المعطل السلمي ...] .

لو لم يتأخر صفوان لما كان حديث الإفك.

فأنا أريد أن أزيد من قناعة القارئ أن كل شيء وقع أراد الله لحكمة بالغة بالغة ، يجب أن تعلم علم اليقين أن كل شيء وقع أراد الله ، وأن كل شيء أراد الله وقوع ، وأن إرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة ، وأن حكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق ، هذا الصحابي الجليل مرّ بها] ... وكانت مضطجعة قد تلفت بجلبابها في مكانها الذي تركوها فيه ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته... [. نشأت له حاجة فتخلف عن العسكر ، فلو لم تنشأ له حاجة لما تخلف عن العسكر ولما كان حديث الإفك ، لو لم يتأخر لافتقدها بعد حين ، رجعوا إلى المكان فوجدوها فحملوها وانطلقوا ، فلم يكن هناك حديث إفك..

[... فلم يبيت مع الناس في العسكر ، فلما رأى سوادي — لم يرى منها شيء ، ملففةً بجلبابها — أقبل حتى وقف عليّ فعرفني — دققوا الآن — وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رآني قال : إنا لله وإنا إليه راجعون أظعينة رسول الله ؟! وأنا متلففة بثيابي ، قال : فما خلفك رحمك الله ؟ قالت : فما كلمته ثم قرّب البعير حتى أركبني ، حتى قال لي : اركبي رحمك الله واستأخر عني ، قالت : فركبت وجاء فأخذ برأس البعير فانطلق بي سريعاً يطلب الناس...] .

هل يستطيع هذا الصحابي الجليل أن يفعل غير هذا الذي فعل ؟ صحابي جليل يرى أم المؤمنين ، يرى زوجة رسول الله ﷺ ، يرى ظعينة رسول الله ﷺ متلففة عن الركب وحدها ، متلففة بثيابها ، هل يستطيع أن يتركها ويمضي ؟ مستحيل.

[... فما كلمته . ثم قرّب البعير وقال : اركبي رحمك الله واستأخر عني ، قالت : فركبت وأخذ برأس البعير ، فانطلق بي سريعاً يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدت حتى أصبحت ونزل الناس ، فلما اطمأنوا ، طلع الرجل يقودني ، فقال أهل الإفك ما قالوا — رأوا زوجة رسول الله على بعير صفوان بن المعطل السلمي — فارتج العسكر ، فوالله ما أعلم بشيء من ذلك ، ثم قدمنا المدينة فلم أمكث أن اشتكيت شكوى شديدة ، ولا يبلغني شيء من ذلك ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبوي ، ولا يذكران لي من ذلك قليلاً ولا كثيراً...] .

فلماذا لم يذكر النبي ﷺ لها قليلاً ولا كثيراً ولا أبوها وأمها ؟ لتقتهم الكبيرة بأنها طاهرة ، فأصعب شيء أن تنتهم إنساناً بريئاً ، شيء لا يحتمل ، ظلم شديد أن تفتري على إنسان إفتراء لا أصل له .

[... إلّا أنني قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لطفه بي ، إن كنت إذا اشتكيت رحماني ولطف بي ، فلم يفعل ذلك في شكواي تلك — فهي كانت مريضة — فأنكرت منه ، كان إذا دخل عليّ وأمي تمرّضني قال : كيف تيكمن ؟ ولا يزيد عليّ ذلك ، أما من قبل كان إذا دخل عليّ وأنا مريضة يقول : كيف عويش ؟ ...] .

عويش من ألفاظ التحبُّب لاسم عائشة ، فهناك أسماء يُتَّحَبُّبُ بها بتعديليها ، تصغيرها ، أو اختصارها ، أو ترخيمها ، كان عليه ﷺ يقول : [كيف عويش ؟] .. أما الآن يقول :
[كيف تيكم ؟] .

[... أنكرت منه ذلك ، حتى وجدت في نفسي مما رأيت من جفائه عني فقلت له : يا رسول الله لو أذنت لي فانتقلت إلى أُمِّي فمرّضتني ، قال : لا عليك اذهبي إن شئت ...] .
استأذنت النبي ﷺ في أن تذهب إلى بيت أهلها — قال: لا عليك.
قالت: [فانتقلت إلى أُمِّي ولا أعلم بشيء مما كان، حتى نقهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة] .

قالت : [وكنا قوماً عرباً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكُفُف التي تتخذها الأعاجم ، نعافها ونكرهاها وإنما كنا نخرج في فُسْحِ المدينة ، وإنما كان النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهن ، فخرجت لبعض حاجتي ومعِي أُمُ مسطح بنت رهم بن المطلب ، وكانت أُمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر] .

قالت : [فَوَ الله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مرطها — أي في كسائها — فقالت : تعس مسطح] .

الآن أول خبر يصل إلى عائشة ، هيَ ماذا رأت ؟ رأت النبي يجافئها ، ولكن ليس جفاء مطلقاً بل جفاء نسبياً ، كيف تيكم ؟ سابقاً كيف عويش ؟ ، فالإنسان الحساس الذي عنده مشاعر رقيقة يشعر بأدق التغيُّرات ، فاستأذنت النبي ﷺ أن تنتقل إلى بيت أهلها فأذن لها ، وهي في طريق قضاء حاجتها قالت لها هذه المرأة : [تعس مسطح .] .

قلت : [بئس لعمر الله ما قلت لرجلٍ من المهاجرين قد شهد بديراً ...] . هي لا تعلم ماذا حدث تقول : بئس مسطح . وهي لا تعلم عنه إلا خيراً .

صحابي جليل رأى أم المؤمنين في الطريق، أركبها على جملة، وقادها إلى الركب، قالت: أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر ؟.

قلت: [وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك ...] .

اتهمت بالفاحشة مع صفوان بن المعطل السلمي. مرة ثالثة ورابعة وخامسة ؛ مئة احتمال يمكن أن يلغى حديث الإفك ، ولكن الله أراد ، دليلٌ هذا قولُ الله عزَّ وجل في سورة النور :
من آية " ١١ " : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۚ بَلْ هُوَ

خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبَْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾

قس على هذا الحديث أنه إذا أصابك شيء تكرهه، اقرأ قوله تعالى سورة البقرة ٧٩:

﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ﴾

وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٩﴾

الله عَزَّ وَجَلَّ لطيفٌ لما يشاء ؛ فانه عَزَّ وَجَلَّ ينقل الإنسان من حال إلى حال ، من مستوى إلى مستوى من منزلة إلى منزلة ، من مقام إلى مقام ، يؤدّب ، يهذّب ، يشجّع ، يقوي ، يعين ، يعطي خبرات عميقة ، ما الإنسان الناضج ؟ إلا مجموعة خبرات ، كل خبرة تعني أن فيها مأساة ، هناك مشكلة ، وهناك خبرة مؤلمة ألمّت به .

[... قلت: وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك] .

أنك لا تجد إنساناً إلا وله أعداء، لأن معركة الحق والباطل معركة أزلية أبدية، إن كنت مع أهل الحق فأهل الكفر والفسوق يعادونك، وإن كنت مع أهل الإيمان فأهل الكفر يعادونك.

قالت: [وقد كان هذا ؟!] . استفهام إنكاري. قالت : [نعم والله لقد كان] .

هذا الذي حصل، هذه الكلمة التي ألقيت على مسامع السيدة عائشة كأنها قنبلة.

قالت: [... فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدّع كبدي] .

فأصعب شيء على المرأة الشريفة الطاهرة أن تتهم بشرفها، أصعب شيء على الإطلاق أن تتهم المرأة العفيفة الطاهرة بشرفها.

قالت : [وقلت لأمي - أي: هل علمت أمي بهذا الخبر - يغفر الله لكِ تحدث الناس بما تحدثوا به، وبلغك ما بلغك ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً !!] .

سألت أمها أنه يا أمي تتحدّث بهذا الخبر، وأنت تبقين ساكنة ؟ قالت:

[أي بنيتي خفّضي الشأن فوالله قلّما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها ، لها ضرائر إلا أكثرن عليها] .

أي هذا شيء طبيعي، معنى ذلك أن هناك حسداً، أحياناً الإنسان يُحسد، فالحسود يلقي بالتهم جزافاً ليشفّي صدره من محسودة.

قالت : [وقد قام رسول الله ﷺ في الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك . ثم قال :

[أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهن غير الحق، والله ما علمت منهن إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجلٍ والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما دخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي] .

تألم النبي ﷺ ، لقد آذوه أشد الأذى ، آذوه في عرضه .

قال : "أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهن غير الحق، والله ما علمت منهن إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجلٍ — أي صفوان بن المعطل السلمي — والله ما علمت منه إلا خيراً، وما دخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي " .

قالت : [وكان قد كَبُرَ ذلك عند عبد الله بن أبي سلول في رجالٍ من الخزرج مع الذي قال مسطح] . أي صار في أناس من الصحابة تألموا أشد الألم لهذا الحديث ، وأناسٌ آخرون تساهلوا قليلاً ، ومنافقون كثر شمتوا ، وفرحوا ، وأحبوا أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا . قالت : [... ثم دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي أبواي ، وعندي امرأة من الأنصار، وأنا أبكي وهي تبكي معي ، فجلس وحمد الله وأثنى علي ثم قال :

[يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتقي الله، إن كنتِ اقترفتِ سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله فإن الله يقبل التوبة عن عباده] .

قالت: [فو الله ما هو إلا أن قال ذلك تقلص دمعي حتى ما أحس منه شيئاً، وانتظرت أبوي أن يجيبا رسول الله، فلم يتكلما] .

قالت : [وأيم الله لأننا كنت أحقر في نفسي ، وأصغر شأناً من أن ينزل الله عز وجل في قرآننا يُقرأ به في المساجد ويصلى به ، ولكنني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في نومه شيئاً يكذب الله به عني لما يعلم من براءتي ، أو يُخبر خيراً ، فأما قرآن ينزل في فو الله لنفسي كانت أحقر عندي من ذلك] .

تصوّرت أن الله يبرئها بمنام يراه النبي ﷺ ، بطريقة أو بأخرى ، أما أن ينزل وحي ، قرآن يُتلى إلى يوم القيامة في براءة هذه السيدة المصون !! .

قالت : [والله كنت أحقر في نفسي من أن ينزل قرآن في] .

قالت : [فلما لم أرَ أبوي يتكلمان قلت: ألا تجيبان رسول الله ؟ فقالا لي: والله ما ندري بماذا نجيبه] . شيء مسكت ، تهمة كبيرة جداً لامرأة طاهرة عفيفة ، زوجها رسول الله ، أبوها أبو بكر ، أمها أم رومان ، قمم ، والتهمة كبيرة ، وبعد فأية امرأة إلى يوم القيامة اتهمت كما اتهمت السيدة عائشة ؛ ففي هذه السيدة المصون أسوة حسنة .

قالت : [وأيم الله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام] .

الحياة فيها متاعب كثيرة، فأحياناً هناك متاعب لا يعلمها إلا الله تصيب الإنسان ..

" إن أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل " .

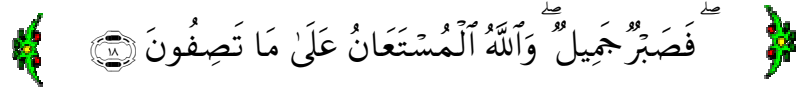
الإنسان يُبتلى على قدر إيمانه، فإن كان قوي الإيمان اشتد بلاؤه، وهذا البلاء يرفع درجاته عند الله ﷻ .

فلما قال لها النبي الكريم ﷺ: [يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتقي الله، وإن كنتِ اقترفتِ سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده] .

قالت : [فو الله ما هو إلا أن قال ذلك حتى تقلص دمعي ، هنا استعبرت فبكيت ، ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً ، والله لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم أنني بريئة منه تصدقوني عندئذ ، لأقولن ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما تقولون لا تصدقوني !!] .

قالت : [ثم التمس اسم يعقوب فما ذكره ، ولكنني أقول كما قال أبو يوسف: فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون].

أن الحزن خلّق، فالمصائب أحياناً تصنع الرجال وتصنع النساء، المصائب محك، الإنسان حينما يمرُّ بظروف صعبة يصبح رجلاً بالمعنى الكبير، والمرأة حين تمرُّ بظروف صعبة تصبح أماً كبيرة.



قالت : [والله ما برح رسول الله مجلسه — وهو لا زال في المجلس — حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه ، فسجى بثوبه ، ووضعت وسادة من أدم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فرعت كثيراً ، ولا باليت ، وقد عرفت أنني بريئة ، وأن الله غير ظالمي ، وأما أبوي فوالذي نفس عائشة بيده ما سرّني عن رسول اله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت أن نفسيهما ستخرجان فرقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قاله الناس " .

هي مطمئنة لأنها بريئة ، أما أبوها وأمها في قلقٍ شديدٍ جداً ، فلربما يُنبئُ الوحي ما قاله الناس .

قالت : [ثم سرّني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس وإنه ليتحدّر منه مثل الجُمان في يومٍ شاتٍ ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول :

[أبشري يا عائشة لقد أنزل الله براءتك].

الإنسان أحياناً كثيرة ما له إلا الله ، فوالله يعلم الحقيقة ، إذا كان قلبك سليماً ، وإذا كنت مستقيماً ، وإذا كنت بريئاً فلا تخش أحداً، الله عزّ وجل سوف يبرئك.

قالت : [فقلت : بحمد الله وذنبكم . ثم خرج إلى الناس فخطبهم، وتلا عليهم ما أنزل الله عزّ وجل من القرآن في] .

بقي تعليق صغير على هذه الرواية، أن السيدة أم رومان لما نزلت براءة السيدة عائشة قالت لابنتها السيدة عائشة: " يا بنيتي قومي إلى رسول الله فاشكريه " . قالت: والله لا أقوم إلا لله . فتبسم النبي ﷺ وقال : "عرفت الحق لأهله " .

وآيات براءة الصديقة بنت الصديق، الطاهرة المؤمنة عائشة هي قوله تعالى في سورة النور:

﴿ نَ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ

أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿

وليس معنى نزول البراءة أن الذي رَوَّج هذا الحديث لن يُحاسب..

﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿

علامة الإيمان أن تحسن الظن بإخوانك يقول الله ﷻ سورة النور من آية " ١٢ " :

﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنفُسِهِنَّ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ

مُبِينٌ ﴿

فإذا كنت بريئاً، وقد أُلصقت بك تهمةٌ شائنة، وكنت صادقاً، وكنت متأكداً، ووثاقاً من نفسك، لا تخشَ في الله أحداً، الله عزَّ وجلَّ اسمه الحق، ومعنى اسمه الحق أي لا بدَّ من أن يحقَّ الحق.

* * *

رضي الله عن هذه السيدة الحصان العفيفة، التي امتحنها الله عزَّ وجلَّ في أعز ما تملك، وصبرت، واحتسبت، فأُنزل الله براءتها.

وكل واحد يمكن أن يستنبط من هذه القصة أن الله هو الحق ، وأنه لا بدَّ من أن يحقَّ الحق ، فإن كنت واثقاً من براءتك واستقامتك فإله سبحانه وتعالى يتولَّى الدفاع عنك؛ ولكن إياك أن تجلس مجلساً فيه مظنة اتهام لك ، وتلوم الناس إذا اتهموك ، لا تضع نفسك موضع التهمة وتلوم الناس إذا اتهموك ، كان ﷺ يمشي مع زوجته صفية فرأى صحابييين جليلين قال : " هذه زوجتي صفية " .

تعلَّم من هذه الواقعة أن تكون واضحاً إلى أبعد الحدود، تعلَّم من هذه الواقعة أن تكون مبيناً إلى أبعد الحدود، وقد قيل: "البيان يطرد الشيطان".

عود نفسك أن تفعل شيئاً لا يمكن أن يفسَّر إلا تفسيراً واحداً ، الشيء الذي يمكن أن يفسَّر تفسيرين ابتعد عنه ، وإذا تلبَّست به ؛ وضَّح قصدك ومرادك ، فلو أن الناس اتبعوا النبي ﷺ فيما قال : " هذه زوجتي صفية " .

وفي هذا الحديث درسٌ بليغٌ للمؤمنين ..

أول استنباط: إذا أراد الله شيئاً وقع.

الاستنباط الثاني: إذا كنت على حق، فالله عزَّ وجلَّ سوف يتولَّى تبرئتك.

الاستنباط الثالث: لا ينبغي أن تضع نفسك موضع التهمة، ثم تلوم الناس إذا اتهموك.

ثالثاً: موقفها مع علي رضي الله عنه وموقعة الجمل

موقعة الجمل

الأسس والدوافع

رُوِّعت مدينة رسول الله ﷺ بمقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في واحدة من المآسي الكبرى في التاريخ، ولم يكن مقتله عن ذنب اقترفه أو جرم ارتكبه أو سياسية باطشة التزمها أو ظلم أوقعه على أمته، وإنما استشهد في فتنة عمياء شهدتها المدينة المنورة، دبر لها من دبر، وأعد لها مخطوطها لتفريق الأمة، وشغلها في حرب طاحنة تلتهم ثرواتها وزهرة شبابها، وتستنفد ثرواتها ومقومات حياتها.

وكان وراء إثارة هذه الفتنة اليهودي "عبد الله بن سبأ"، الذي ادعى الإسلام في عهد عثمان وبث أفكاره الخبيثة بالناس، وأخذ بنشرها في البلاد، وراح يخطط للنيل من عثمان بن عفان وولاته؛ فاستجاب له بعض ضعاف النفوس وأهل الأهواء.

سيطر الثائرون وأهل الفتنة على المدينة المنورة، وكانوا نحو عشرة آلاف من البصرة والكوفة ومصر، وبقيت الأمة بغير خليفة يدبر لها أمورها، وظل "العافقي بن حرب" وهو من زعماء الفتنة يصلي بالناس إماماً في مسجد النبي ﷺ عدة أيام قبل أن يختار الناس خليفتهم، وأصبح الناس في حيرة من أمرهم.

وفي هذا الموقف العصيب لم يكن هناك من الصحابة من هو أجدر لمنصب الخلافة الراشدة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهو أقدمهم سابقة في الإسلام، وأشدّهم بأساً وشجاعة، وأكثرهم علماً وفقهاً، وأبلغهم لساناً وبياناً؛ فاتجهت إليه الأنظار، وتعلقت به القلوب والآمال ليحمل مسئولية الأمة وقيادة الركب في هذه الفتنة الهوجاء والمحنة القاسية التي ألمت بالمسلمين، فقبل المنصب، وتحمل تبعاته بشجاعة واحتساب صادق، وتمت البيعة المباركة في اليوم (٢٥ من ذي الحجة ٣٥ هـ = ٢٤ من يونيو ٦٥٦ م).

المهمة الصعبة

تولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة ودم سلفه العظيم عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يجف بعد، وقاتلوه لا يزالون بالمدينة، وعليه أن يقتص من قتلة عثمان رضي الله عنه ويعيد للخلافة هيبتها، وكان ذلك مطلباً عاماً؛ فذهب إليه طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام — رضي الله تعالى عنهما — يطلبان منه أن يقيم حد القصاص على قتلة عثمان رضي الله عنه فأجابهما بأن الأمر يحتاج إلى تمهل وتأن؛ فالذين قاموا بالقتل عدد قليل، ولكن وراءهم عشرة آلاف يملئون المدينة قد خدعوا بهم، وهم مستعدون للدفاع عنهم؛ ولذلك عندما كانوا يسمعون قائلاً يقول: من قتل عثمان؟ كانوا

يجيبون في صيحة واحدة نحن جميعا قتلناه، فافتتح الصحابيـان الجليلان – رضي الله تعالى عنهما – بما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه لهما.

وكانت الخطوة التي أقدم عليها أمير المؤمنين "علي" رضي الله عنه هي عزل كل الولاة الكبار الذين كانوا على عهد عثمان رضي الله عنه حتى تهدأ الفتنة وتستقر الأمور، وكان هؤلاء الولاة قد اتخذهم أهل الفتنة والثورة ذريعة للطعن على عثمان بن عفان رضي الله عنه والخروج عليه، واتهامه ظلما وبهتاناً بمحابتهم ومجاملتهم؛ فعزل " معاوية بن أبي سفيان " عن ولاية الشام، و"عبد الله بن سعد بن أبي السرح" عن ولاية مصر، و" عبد الله بن عامر" عن ولاية البصرة، و" أبا موسى الأشعري " عن ولاية الكوفة رضي الله عنه.

أصداء القرارات الصعبة

وهذا القرار الأخير راجعه فيه ابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنه لا اعتراضا على القرار الذي هو من حق الخليفة في أن يعين من يراه جديرا بتحمل المسؤولية، والقيام بأمر الولاية التي يتولاها على خير وجه، وأن يكون هناك تنسيق بين الخليفة وأمرائه في الولايات، ولكن لأن الأوضاع العامة لا تزال مضطربة، والنفوس مشتتة، والفتنة قائمة تحتاج إلى وقت حتى تهدأ. ولذا اقترح عليه ابن عباس أن يرجئ تنفيذ هذا القرار فترة ولو لمدة سنة، أو يعزل من يشاء من الولاة، ويبقي معاوية على ولاية الشام؛ لأن معاوية لم يكن محل شكوى الشائرين، ولم يشترك أهل الشام في الفتنة، ولكن الإمام علي أصر على تنفيذ القرار؛ محتجا بأن النائرين إنما ثاروا غضبا من ولاة عثمان، ولن تهدأ ثورتهم ما لم يُعزلوا، وكان من أثر ذلك أن الولاة الجدد تسلموا مهامهم خلفا لولاة عثمان، في الوقت الذي رفض معاوية بن أبي سفيان أن ينفذ القرار، ومنع دخول " سهل بن حنيف " الوالي الجديد إلى الشام من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

دارت رسائل ومخاطبات بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان حول هذا الشأن؛ الأول يطلب من الآخر أن يبايعه بالخلافة، وأن يذعن لأوامره باعتباره الخليفة الشرعي المبايع من كبار الصحابة. على حين يطالب معاوية من الخليفة أن يقتص من قتلة عثمان باعتباره ولي دمه؛ لأنه ابن عمه قبل أن يبايعه بالخلافة.

وقد ظل الأمر على هذا النحو شهرين من خلافة علي، والرسائل تدور بينهما دون أن تحقق نتيجة مرضية؛ حتى فوجئ الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه برسالة من معاوية تتضمن عبارة واحدة "من معاوية إلى علي"؛ وهو ما يعني أن معاوية لم يقر بخلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأنه مُصر على موقفه؛ إذ لم يصفه بأمر المؤمنين، وأدرك علي رضي الله عنه أن حمل معاوية على

البيعة لن يكون إلا بالقوة؛ فاستعد لذلك، وإن كانت هذه الخطوة نصحه في عدم الإقدام عليها بعض الصحابة، ومنهم ابنه " الحسن بن علي " عليه السلام.

موقعة الجمل

وفي الوقت الذي أخذ فيه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يجهز للخروج إلى الشام، جاءه ما لم يكن يتوقع؛ فقد كانت أم المؤمنين السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — قد أدت فريضة الحج، فسمعت وهي في طريقها إلى المدينة نبأ مقتل عثمان، فغضبت لهذه الجريمة البشعة، ووقفت راجعة إلى مكة، وأخذت تردد: " قتل والله عثمان مظلوماً، ". وفي مكة التقت بطلحة والزبير وبعض بني أمية من قوم عثمان، وتشاوروا في الأمر، وانتهى بهم الأمر إلى الاتجاه نحو البصرة؛ باعتبارها أقرب بلد من البلاد التي اشترك أهلها في الفتنة والخروج على عثمان عليه السلام.

وصلت هذه الأنباء إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فاضطر إلى تغيير خطته بالذهاب إلى البصرة لا إلى الشام قبل أن يصل جيش السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — ومن معها إلى البصرة، لكنها كانت أسبق منه في الوصول إليها، غير أن والي البصرة " عثمان بن حنيف " أصر على منعهم من دخول البصرة، ودارت معركة صغيرة قتل فيها نحو ٦٠٠ من الفريقين؛ فارتاعوا من كثرة القتلى، وتنادوا إلى السلم وعقد الصلح وانتظار قدوم الإمام علي عليه السلام إلى البصرة.

وصل الإمام علي إلى البصرة، وعلم بما حدث من سفك الدماء؛ فأرسل رسولا إلى معسكر السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — عنها لبحث الأمر، وكانت النيات حسنة تبغي الإصلاح؛ فاتفقوا على الصلح، وتجديد البيعة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

غير أن أنصار الفتنة ساءهم هذا الاتجاه، وأدركوا أن الصلح بين الفريقين لا يتفق وأهدافهم، وسيجعل علي يقوى بانضمام الفريق الآخر إليه، ويجعله قادرا على إقامة الحد عليهم باعتبارهم قتلة عثمان؛ ولم يكن لعل حيلة في وجودهم في معسكره، ولا يقدر على منعهم؛ لكونهم قوة كبيرة تساندتهم عصبية قلبية؛ مما ضعف من صلابة جيش علي ووحدته، وأثار الفرقة والانقسام فيه فيما بعد، ولذا سارع زعيم الفتنة " عبد الله بن سبأ " بأن قدم لأصحابه اقتراحاً مؤداه أن يشنوا غارة بدون علم الإمام علي في جنح الليل على جيش السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، وهم نائمون؛ فقام أتباعه بتنفيذ اقتراحه، وكان هذا مقدمة لحرب " الجمل " التي راح ضحيتها اثنان من خيرة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هما طلحة والزبير — رضي الله عنهما — ونحو ٢٠ ألفاً من المسلمين.

والحقيقة أن الصحابة الكرام لم يكونوا راغبين في إراقة الدماء، ولا يمكن أن يقع ذلك منهم، وقد رأينا رغبتهم في الصلح وحقق الدماء لولا أن أتباع ابن سبأ أفسدوا كل شيء، وأشعلوا الحرب بعد أن قتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وبعد المعركة أسند علي ولاية البصرة إلى عبد الله بن عباس، وانصرف إلى الكوفة ليستعد لإخضاع معاوية بن أبي سفيان أمير الشام الذي أعلن المعارضة من دون الولاية، وحاول الخليفة أن يحسم الأمر بالحسنى والسلم، لكن المفاوضات بينهما لم تصل إلى حل يحقق الدماء لإصرار معاوية على مطلبه بتسليم قتلة عثمان ليقتلوا به، ثم يكون الأمر للأمة إن شاءت اختارت عليا وإن شاءت رفضت بيعته.

درء الشبهات

هذه الواقعة جعلت الرافضة وهي فرقة مارقة عن الإسلام يتناولون على السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، قديماً حيث تصدي لهم الإمام ابن تيمية باقتدار شديد، وحديثاً مثل ما ادعاه الدكتور محمد التيجاني السماوي، تونسي الأصل حاصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السربون وكان سنياً ثم اعتنق المذهب الرافضي فألف كتابه والمعنون بـ " ثم اهتديت " والكتاب من منشورات مؤسسة الفجر بلندن ويقدم حالياً ببلجيكا بعد أن طردته الحكومة التونسية من أراضيها، ولقد تصدي له الدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي فرد عليه بكتابه المعنون بـ " كتاب الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال " وهو الذي اعتمدنا عليه كثيراً في بحثنا هذا.

يقول هذا الرافضي: طاعناً في أم المؤمنين عائشة — رضي الله عنها وأبيها — ص ١٣٩ وما بعدها:

«ونتساءل عن حرب الجمل التي أشعلت نارها أم المؤمنين عائشة، إذ كانت هي التي قادتها بنفسها، فكيف تخرج أم المؤمنين عائشة من بيتها التي أمرها الله بالاستقرار فيه بقوله تعالى:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣).

ونسأل بأي حق استباححت أم المؤمنين قتال خليفة المسلمين علي ابن أبي طالب وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة....

ولمزيد البحث وليطمئن قلبي أقول أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الفتن التي تموج كموج البحر قال: لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة بعث علي عمار بن ياسر والحسن بن علي فقدا علينا الكوفة، فصعدا المنبر فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه،

وقام عمار أسفل من الحسن ، فاجتمعنا إليه فسمعت عماراً يقول: إن عائشة قد سارت إلى البصرة ، ووالله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكُم ليعلم إياه تطيعون أم هي. كما أخرج البخاري أيضاً في كتاب الشروط، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ﷺ قال: قام النبي ﷺ خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة، فقال: ههنا الفتنة ههنا الفتنة ههنا الفتنة، من حيث يطلع قرن الشيطان.... وبعد كل هذا أتساءل كيف استحققت عائشة كل هذا التقدير والاحترام من أهل السنة والجماعة، أ لأنها زوج النبي ﷺ ، فزوجاته كثيرات، وفيهن من هي أفضل من عائشة بتصريح النبي ﷺ نفسه].

وجوابه:

أن قوله إنها أشعلت نار حرب الجمل وقادتها بنفسها... الخ كلامه فهذا من أظهر الكذب الذي يعلم فساده كل من له إطلاع على التاريخ وأحداث موقعة الجمل، وذلك أن هذه المعركة لم تقع بتدبير أحد من الصحابة لا علي ولا طلحة ولا الزبير ولا عائشة، بل إنما وقعت بغير اختيار منهم ولا إرادة لها، وإنما أنشب الحرب بينهم قتلة عثمان لما رأوا أن الصحابة ﷺ أوشكوا على الصلح، كما نقل ذلك المؤرخون وصرح به العلماء المحققون للفتنة وأحداثها: يقول الباقلاني في كتابه [التمهيد في الرد على الملحدة ص ٢٣٣]: « وقال جلة من أهل العلم إن الوقعة بالبصرة بينهم كانت على غير عزيمة على الحرب بل فجأة، وعلى سبيل دفع كل واحد من الفريقين عن أنفسهم لظنه أن الفريق الآخر قد غدر به، لأن الأمر كان قد انتظم بينهم وتم الصلح والتفرق على الرضا، فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم والإحاطة بهم ، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت أرائهم على أن يفتقروا ويبدؤوا بالحرب سحرة في العسكرين ، ويختلطوا ويصيح الفريق الذي في عسكر علي: غدر طلحة والزبير، ويصيح الفريق الآخر الذي في عسكر طلحة والزبير: غدر علي، فتم لهم ذلك على ما دبروه، ونشبت الحرب، فكان كل فريق منهم مدافعاً لمكروه عن نفسه، ومانعاً من الإشاطة بدمه، وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى إذا وقع، والامتناع منهم على هذا السبيل، فهذا هو الصحيح المشهور، وإليه نميل وبه نقول».

ويقول ابن العربي في كتابه [العواصم من القواصم ص ١٥٩]: « وقدم علي البصرة وتدانوا ليتراءوا، فلم يتركهم أصحاب الأهواء، وبادروا بإراقة الدماء، واشتجر بينهم الحرب، وكثرت الغوغاء على البغواء، كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا تقف الحال على بيان، ويخفى قتلة عثمان، وإن واحداً في الجيش يفسد تدبيره فكيف بألف».

ويقول ابن حزم في كتابه [الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢٣٨/٤-٢٣٩]: « وأما أم المؤمنين والزبير وطلحة ﷺ ومن كان معهم فما أبطلوا قط إمامة علي ولا طعنوا فيها... فقد

صح صحة ضرورية لا إشكال فيها أنهم لم يمشوا إلى البصرة لحرب علي ولا خلافاً عليه ولا نقضاً لبيعتة... وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإغارة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير، وبذلوا السيف فيهم فدفع القوم عن أنفسهم فرُدُّوا حتى خالطوا عسكر علي، فدفع أهله عن أنفسهم، وكل طائفة تظن ولا تشك أن الأخرى بدأتها بالقتال، فاختلف الأمر اختلاطاً لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه، والفسقة من قتلة عثمان، لعنهم الله لا يفترون من شب الحرب وإضرارها».

فهذه بعض من أقوال العلماء المحققين كلها متفقة على أن الحرب يوم الجمل نشأت بغير قصد من الصحابة ولا اختيار منهم، بل إنهم كانوا كارهين لها، مؤثرين الصلح على الحرب، ولم يكن لأي أحد من الصحابة أي دور في نشوبها ولا سعي في إثارتها، لا عائشة — رضي الله عنها — كما زعم هذا الرافضي ولا غيرها، وإنما أوقد جذوتها وأضرم نارها سلف هذا الرافضي الحاقد، وغيرهم من قتلة عثمان عليه السلام وهو اليوم يرمي أم المؤمنين بذلك، فعليهم من الله ما يستحقون، ما أشد ابتلاء الأمة بهم، وأعظم جنايتهم عليها قديماً وحديثاً.

وأما قوله: إنها خرجت من بيتها، وقد أمرها الله بالاستقرار فيه في قوله تعالى: **لَوْ قَرْنَ فِي بَيْتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى**. [سورة الأحزاب آية ٣٣].

فالرد عليه:

أن السيدة عائشة — رضي الله عنها — إنما خرجت للصلح بين المسلمين، ولجمع كلمتهم، ولما كانت ترجو من أن يرفع الله بها الخلاف بين المسلمين لمكانتها عندهم، ولم يكن هذا رأيها وحدها، بل كان رأي بعض من كان حولها من الصحابة الذين أشاروا عليها بذلك.

يقول ابن العربي في كتابه [أحكام القرآن ٥٦٩/٣-٥٧٠]: «وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب، ولكن تعلق الناس بها وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة وتهارج الناس، ورجوا بركتها في الإصلاح وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت للخلق، وظنت هي ذلك، فخرجت مقتدية بالله في قوله: [لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس] وبقوله: [وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما] والأمر بالإصلاح، مخاطب به جميع الناس من ذكر أو أنثى حر أو عبد...».

وجاء في: [تاريخ الطبري ٤٦٢/٤] "إن الغوغاء من أهل الأمصار، ونزاع القبائل، غزوا حرم رسول الله ﷺ، وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا تره ولا عذر، فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجلود، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم، ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين، ولا يقدرون على امتناع ولا يأمنون، فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه

الناس وراعنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا، وقرأت: { لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس } فنهض في الإصلاح ممن أمر الله عز وجل ، وأمر رسول الله ﷺ الصغير والكبير والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمرهم به ونحضكم عليه، ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره".

وفي [الثقات لابن حبان ٢/٢٨٢] وهو يتحدث عن خروج السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قال: "..... وقد خرجت مصلحة بين الناس، فمر من قبلك بالقرار في منازلهم، والرضا بالعافية حتى يأتهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين).

وجاء في [تاريخ الطبري ٤/٤٨٨، والبداية والنهاية لابن كثير ٧/٢٤٨]: "ولما أرسل علي القعقاع بن عمرو لعائشة ومن كان معها يسألها عن سبب قدومها، دخل عليها القعقاع فسلم عليها، وقال: (أي أمة ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني إصلاح بين الناس). و نقل ابن العماد في [شذرات الذهب ١/٤٢] " وبعد انتهاء الحرب يوم الجمل جاء علي إلى عائشة — رضي الله عنها — فقال لها: (غفر الله لك، قالت: ولك، ما أردت إلا الإصلاح". فتقرر أنها ما خرجت إلا للإصلاح بين المسلمين، وهذا سفر طاعة لا ينافي ما أمرت به من عدم الخروج من بيتها، كغيره من الأسفار الأخرى التي فيها طاعة لله ورسوله كالحج والعمرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله — في مجموع الفتاوى الكبرى في الرد على الرافضة في هذه المسألة ص ١٣٩:

(فهي — رضي الله عنها — لم تتبرج تبرج الجاهلية الأولى، والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها، كما لو خرجت للحج والعمرة، أو خرجت مع زوجها في سفره، فإن هذه الآية قد نزلت في حياة النبي ﷺ وقد سافر بهن رسول الله ﷺ بعد ذلك كما سافر في حجة الوداع بعائشة — رضي الله عنها — وغيرها وأرسلها مع عبد الرحمن أخيها فأردفها خلفه، وأمرها من التنعيم، وحجة الوداع كانت قبل وفاة النبي ﷺ بأقل من ثلاثة أشهر بعد نزول هذه الآية، ولهذا كان أزواج النبي ﷺ يحججن كما كن يحججن معه في خلافة عمر رضي الله عنه وغيره، وكان عمر يوكل بقطارهن عثمان، أو عبد الرحمن بن عوف، وإذا كان سفرهن لمصلحة جائزاً، فعائشة اعتقدت أن ذلك السفر مصلحة للمسلمين فتأولت في ذلك).

وأما قول الرافضي: استباحقت قتال خليفة المسلمين... **فقد تقدم إنها ما خرجت لذلك، وما أرادت القتال،** وقد نقل الزهري عنها أنها في كتابه [المغازي ص ١٥٤] قالت بعد موقعة الجمل: (إنما أريد أن يحجز بين الناس مكاني، ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبداً).

ولهذا ندمت — رضي الله عنها — بعد ذلك ندماً عظيماً على شهود موقعة الجمل، على ما روى ابن أبي شيبه عنها في مصنفه [٥٤٣/٧] أنها قالت: (وددت أني كنت غصناً رطباً، ولم أسر سيري هذا). وفي [الكامل في التاريخ ٢٥٤/٣] لابن الأثير] أنها قالت للقعقاع بن عمرو: (والله لو دددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة).

وموقف عائشة — رضي الله عنها — هذا هو موقف علي رضي الله عنه من الحرب بعد وقوعها. فقد روى [ابن أبي شيبه في مصنفه ٥٤١/٧]: أن علياً قال يوم الجمل: (اللهم ليس هذا أردت، اللهم ليس هذا أردت).

وعنه رضي الله عنه أنه قال: (وددت أني كنت مت قبل هذا بعشرين سنة) [المصدر نفسه ٥٤٤/٧، والكامل لابن الأثير ٢٥٤/٣].

فثبت بهذا أن السيدة عائشة — رضي الله عنها — ما أرادت القتال أولاً، وندمت أن شهدته بعد وقوعه، فلئن كان ذنباً فهو مغفور لها من وجهين: بعدم القصد، وبالتوبة منه، هذا مع ما ثبت أنها خرجت لمقصد حسن وهو الصلح بين المسلمين، فهي بذلك مأجورة على قصدها مغفور لها خطؤها.

وموقف علي رضي الله عنه من الحرب دليل على أنه يرى أنها حرب فتنة، ولهذا تمنى لو لم يدخلها، وأنه مات قبلها بعشرين سنة، وذلك لاشتباه الأمور فيها، ولكونه لم يظهر له أن في قتال مخالفه يوم الجمل حقاً ظاهراً، ولو أنه كان يعتقد في مخالفه ما يعتقد الرافضة فيهم من الكفر والردة عن الإسلام بحربهم لعلي رضي الله عنه، فإنه لو كان يعتقد فيهم هذا لما ندم على قتالهم ذلك الندم العظيم، وفرح بقتلهم وقتالهم لما في ذلك من عز الإسلام وقمع أعدائه، ولما فيه من الأجر العظيم. كما حصل ذلك منه بعد قتال الخوارج — مع كونه لا يعتقد كفرهم — إلا أنه فرح بقتالهم فرحاً عظيماً، وكبر الله سروراً بقتلهم لما تأكد له وصفهم، الذي عهد به رسول الله ﷺ ومن ذلك وجود ذي الندية فيهم، على ما جاء ذلك مخرجاً في الصحيحين).

[انظر: صحيح البخاري: (كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام) فتح الباري ٦١٧/٨-٦١٨، ح ٣٦١٠، وصحيح مسلم: (كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج) ٧٤٨/٢-٧٤٩]

وفي هذا أكبر رد على هؤلاء الرافضة الطاعنين في أصحاب النبي ﷺ المتهمين لهم بالعظائم، فلو كان لهم عقول لما حادوا عن موقف علي من مخالفه الذي لم يكن يتهمهم في دينهم، ولا يذمهم بشيء مما يتشدد به هؤلاء الأفاكون المجرمون، بل ثبت تناؤهم عليهم، ووصفه لهم

بالإيمان والتقوى، واستغفاره لهم، كما تقدم نقل ذلك مفصلاً فيما قد سبق من البحث وكما مر قريباً استغفاره لعائشة واستغفارها له فرضي الله عنهم جميعاً.

وأما طعن الرافضي في أم المؤمنين عائشة بقول عمار: (والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم بها ليعلم إياه تطيعون أم هي).

فالرد عليه: أن ليس في قول عمار هذا ما يطعن به على عائشة — رضي الله عنها — بل فيه أعظم فضيلة لها، وهي أنها زوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة، فأبي فضل أعظم من هذا، وأي شرف أسمى من هذا، فإن غاية كل مؤمن رضا الله والجنة، وعائشة — رضي الله عنها — قد تحققت لها ذلك بشهادة عمار — رضي الله عنه — الذي كان مخالفاً لها في الرأي في تلك الفتنة، وأنها ستكون في أعلى الدرجات في الجنة بصحبة زوجها رسول ﷺ، كما شهد لها بذلك علي نفسه بعد انتهاء حرب الجمل على ما نقل الطبري أنه جاءها فأثنت عليه خيراً وأثنى عليها خيراً وكان فيما قال كما هو في [تاريخ الطبري ٤/٥٤٤]: (أيها الناس صدقت والله وبرت... وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة).

وبهذا قد جاء الحديث الصحيح المرفوع إلى النبي ﷺ على ما روى الحاكم في المستدرک من حديث عائشة — رضي الله عنها — أن النبي ﷺ قال لها: (أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة، قالت: بلى والله، قال: فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة). [رواه الحاكم في المستدرک ١٠/٤]، وقال: « حديث صحيح ولم يخرجاه » وقال الذهبي في التلخيص المطبوع في حاشية المستدرک: « صحيح » كما أورد هذا الحديث مصطفى العدوي في كتابه الصحيح المسند من فضائل الصحابة وحكم بصحة الحديث ص ٣٥٦.

فيكون هذا الحديث من أعظم فضائل السيدة عائشة — رضي الله عنها — ولذا أورد البخاري الأثر السابق عن عمار في مناقب عائشة — رضي الله عنها —. [انظر: صحيح البخاري: (كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة — رضي الله عنها —)، فتح الباري ٧/١٠٦، ح ٣٧٧٢.

وطعن الرافضي به على عائشة دليل على ضعف عقله، وقلة فهمه، وهذا مصداق ما ذكره العلماء عنهم أن هؤلاء الرافضة هم أكذب الناس في النقلات وأجهل الناس في العقليات [من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وقد تقدم نقل النص كاملاً ص ١٣٩].

فتبين أن أثر عمار هذا حجة على الرافضي لا له.

وأما قول عمار في الجزء الأخير من الأثر: (ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها) فليس بمطعن على عائشة — رضي الله عنها — وبيان ذلك من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن قول عمار هذا يمثل رأيه، وعائشة — رضي الله عنها — ترى خلاف ذلك، وأن ما هي عليه هو الحق، وكل منهما صحابي جليل، عظيم القدر في الدين والعلم، فليس قول أحدهما حجة على الآخر.

الوجه الثاني: أن أثر عمار تضمن معنيين أولهما قوله: "إنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة" وهذا نص حديث صحيح كما تقدم، والآخر قوله: (ولكن الله ابتلاكم بها لتتبعوه أو إياها) وهذا قول عمار، فإن كان قول عمار غير معارض للحديث فلا مطعن حينئذ، وإن كان معارضاً للحديث فالحديث هو المقدم.

الوجه الثالث: أن الشهادة بأنها زوجة ﷺ في الدنيا والآخرة، حكم عام باعتبار العاقبة والمآل. وقول عمار حكم خاص في حادثة خاصة، فرجع الحكم الخاص إلى العام وآل الأمر إلى تلك العاقبة السعيدة فانتقى الطعن.

الوجه الرابع: أن غاية ما في قول عمار هو مخالفتها أمر الله في تلك الحالة الخاصة، وليس كل مخالف مذموماً حتى تقوم عليه الحجة بالمخالفة، ويعلم أنه مخالف، وإلا فهو معذور إن لم يتعمد المخالفة، فقد يكون ناسياً أو متأولاً فلا يؤخذ بذلك.

الوجه الخامس: أن عماراً — رضي الله عنه — ما قصد بذلك ذم عائشة ولا انتقاصها، وإنما أراد أن يبين خطأها في الاجتهاد نصحاً للأمة، وهو مع هذا يعرف لأم المؤمنين قدرها وفضلها وقد جاء في بعض روايات هذا الأثر عن عمار أن عماراً سمع رجلاً يسب عائشة، فقال: (اسكت مقبوحاً منبوحاً، والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أنطيعوه أو إياها). [نقله ابن كثير في البداية والنهاية ٢٤٨/٧]

ونحن نقول لهذا الرافضي المتطاول على أم المؤمنين كما قال عمار: اسكت مقبوحاً منبوحاً.
وأما قول الرافضي إن النبي ﷺ قام خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: ههنا الفتنة ههنا
الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان، وطعنه على عائشة — رضي الله عنها — بذلك وزعمه أن
الرسول ﷺ أراد أن الفتنة تخرج من بيتها.

فجوابه: أنه لا يخفى ما في كلامه هذا من التضليل والتلبيس، وقلب الحقائق والتدليس على من لا علم عنده من العامة وذلك بتفسيره قول الراوي: (فأشار نحو مسكن عائشة) على أن الإشارة كانت لبيت عائشة وأنها سبب الفتنة، والحديث لا يدل على هذا بأي وجه من الوجوه، وهذه العبارة لا تحتل هذا الفهم عند من له أدنى معرفة بمقاصد الكلام.

فإن الراوي قال: (أشار نحو مسكن عائشة) أي جهة مسكن عائشة، ومسكن عائشة — رضي الله عنها — يقع شرقي مسجد النبي ﷺ فالإشارة إلى جهة المسكن وهو (المشرق) لا إلى المسكن، ولو كانت الإشارة إلى المسكن لقال: (أشار إلى مسكن عائشة) ولم يقل: (إلى جهة مسكن عائشة) والفرق بين التعبيرين واضح وجلي.

وهذه الرواية التي ذكرها أخرجها البخاري في كتاب فرض الخمس باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ﷺ [انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري ٢١٠/٦، ح ٣١٠٤]. وليس كما زعم الرافضي أنها في كتاب الشروط.

وهذا الحديث قد جاء مخرجاً في كتب السنة من الصحيحين وغيرهما من عدة طرق، وبأكثر من لفظ، وقد جاء التصريح في هذه الروايات بأن الإشارة كانت إلى المشرق، وجاء النص فيها على البلاد المشار إليها بما يدحض دعوى الرافضي ويغني عن التكلف في الرد عليه بأي شيء آخر.

وها هي ذي بعض روايات الحديث من عدة طرق عن ابن عمر — رضي الله عنهما —. فعن ليث عن نافع عن ابن عمر — رضي الله عنهما — أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: (ألا أن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان). [أخرجه البخاري في: كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ الفتنة من قبل المشرق، فتح الباري ٤٥/١٣، ح ٧٠٩٣، ومسلم: كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق ... ٢٢٢٨/٤، ح ٢٩٠٥]، وعن عبيد بن عمر قال: حدثني نافع عن ابن عمر: (أن رسول الله ﷺ قام عند باب حفصة فقال بيده نحو المشرق: الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان قالها مرتين أو ثلاثاً)، [أخرجه مسلم: كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق ... ٢٢٢٩/٤.] وعن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: (وهو مستقبل المشرق، ها إن الفتنة ههنا، ها إن الفتنة ههنا، ها إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان). [أخرجه مسلم: كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق ... ٢٢٢٩/٤].

وفي هذه الروايات تحديد صريح للجهة المشار إليها وهي جهة المشرق، وفيها تفسير للمقصود بالإشارة في الرواية التي ذكرها الرافضي. كما جاء في بعض الروايات الأخرى للحديث تحديد البلاد المشار إليها.

فعن نافع عن ابن عمر قال: (ذكر النبي ﷺ اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا [قال الخطابي: « نجد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق، ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة »، فتح الباري لابن حجر ٤٧/١٣]. فأظنه قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان). [أخرجه البخاري:

(كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ الفتنة من قبل المشرق)، فتح الباري ٤٥/١٣، ح ٧٠٩٤]. وعن سالم بن عبد الله بن عمر أنه قال: يا أهل العراق؟ ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الفتنة تجيء من ههنا وأوماً بيده نحو المشرق، من حيث يطلع قرنا الشيطان). [أخرجه مسلم: (كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق ... ٢٢٢٩/٤].

وفي بعض الروايات جاء ذكر بعض من يقطن تلك البلاد من القبائل ووصف حال أهلها.

فعن أبي مسعود قال: (أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال: ألا إن الإيمان ههنا، وإن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر). [الفدادون: الذين تعلوا أصواتهم في حروثهم ومواشيهم واحدهم: فداد وقيل هم المكثرون من الإبل. النهاية لابن الأثير ٤١٩/٣]. [أخرجه البخاري في: (كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال) فتح الباري ٦/٣٥٠، ح ٣٣٠٢، ومسلم: (كتاب الإيمان، باب تفضل أهل الإيمان فيه) ٧١/١، ح ٥١].

فدلت هذه الروايات دلالة قطيعة على بيان مراد النبي ﷺ من قوله: (الفتنة هاهنا) وأن المقصود بذلك بلاد المشرق، حيث جاءت الروايات مصرحة بهذا، كما جاء في بعضها وصف أهل تلك البلاد وتعيين بعض قبائلها، مما يظهر به بطلان ما ادعى الرافضي من أن الإشارة كانت إلى بيت عائشة، فإن هذا قول باطل، ورأي ساقط، لم يفهمه أحد وما قال به أحد سوى هذا الرافضي الحاقده، والذي يحمله على هذا هو بغضه لأهل المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فعليه من الله ما يستحق وألبسه الله بطعنه في الصحابة لباس الذل والخزي في الدنيا والآخرة.

وأما قوله: كيف استحققت عائشة كل هذا التقدير والاحترام من أهل السنة والجماعة، لأنها زوج النبي ﷺ فزوجاته كثيرات وفيهن من هي أفضل من عائشة بتصريح النبي ﷺ.
وجوابه: أما كيف استحققت كل هذا التقدير فلما ثبت من فضائلها العظيمة الثابتة بالنصوص الصحيحة.

فمن ذلك تبرئة الله تعالى لها من فوق سبع سموات، في آيات من كتاب الله تتلى إلى أن يأذن الله برفع كتابه من الأرض، وذلك في قول الله تعالى من سورة النور: { إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم } [سورة النور آية ١١]. إلى قوله: { الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم } [سورة النور آية ٢٦].

فهذه الآيات من أكبر الأدلة على طهارتها، وشرفها، وعلو شأنها في الدين.

ومن الأدلة على فضلها من السنة.

ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: قال: رسول الله ﷺ يوماً: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُنْذِرِ الْكُوفِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ أَنَّ عَائِشَةَ حَدَّثَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا إِنَّ جِبْرِيلَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ قَالَتْ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَفِي الْبَاب عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي نَمِيرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رَوَاهُ

الزُّهْرِيُّ أَيْضًا عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ عَائِشَةَ (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ يُونُسَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَبُو سَلَمَةَ إِنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا يَا عَائِشَ هَذَا جِبْرِيلُ يُقَرِّنُكَ السَّلَامَ فَقُلْتُ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ تَرَى مَا لَا أَرَى تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﷺ).

[رواه البخاري في: (كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة — رضي الله عنها —)، فتح الباري ١٠٦/٧، ح ٣٧٦٨، ومسلم: (كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة — رضي الله عنها — ١٨٩٦/٤)].

وعن أبي موسى الأشعري — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَا ثَنَا شُعْبَةُ قَالَ يَحْيَى فِي حَدِيثِهِ قَالَ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ قَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ عَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمَلْ مِنَ النِّسَاءِ غَيْرُ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ وَآسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ).

[رواه أحمد في مسنده حديث رقم ١٨٨٣٧ رواه البخاري في: (كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة — رضي الله عنها—)، فتح الباري ١٠٦/٧، ح ٣٧٦٩، والجزء الأخير من الحديث وهو قوله: (وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ...) أخرجه البخاري أيضاً من طريق أنس ابن مالك في الباب نفسه برقم ٣٧٧٠، ومسلم في: (كتاب فضائل الصحابة، باب في فضائل عائشة — رضي الله عنها—) ١٨٩٥/٤، ح ٢٤٤٦].

وعن هشام بن عروة عن عائشة قالت إن كان رسول الله ﷺ ليتفقد يقول: (و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ وَجَدْتُ فِي كِتَابِي عَنْ أَبِي أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَتَفَقَّدُ يَقُولُ أَيْنَ أَنَا الْيَوْمَ أَيْنَ أَنَا غَدًا اسْتِطْبَاءً لِيَوْمٍ عَائِشَةَ قَالَتْ فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي قَبَضَهُ اللَّهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي).

[رواه البخاري في: (كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة)، فتح الباري ١٠٧/٧، ح ٣٧٧٤، ومسلم: (كتاب فضائل الصحابة، باب في فضائل عائشة) ١٨٩٣/٤، ح ٢٤٤٣].

وعن هشام بن عروة قال: (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ النَّاسُ يَنْحَرُونَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ قَالَتْ عَائِشَةُ فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ يَا أُمَّ سَلَمَةَ وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَنْحَرُونَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ وَإِنَّا نُرِيدُ الْخَيْرَ كَمَا تُرِيدُهُ عَائِشَةُ فَمُرِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ أَوْ حَيْثُ مَا دَارَ قَالَتْ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ أُمِّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ فَأَعْرَضَ عَنِّي فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ فَأَعْرَضَ عَنِّي فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّلَاثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ يَا أُمَّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِنِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُمْ غَيْرَهَا).

[رواه البخاري في: (كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة حديث رقم ٢٤٩١)، فتح الباري ١٠٧/٧، ح ٣٧٧٥].

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل قال: فأُتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت من الرجال؟ قال: أبوها، قلت ثم من قال: ثم عمر بن الخطاب فعدّ رجالاً). [رواه البخاري في: (كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً)، فتح الباري ١٨/٧، ح ٣٦٦٢، ومسلم: (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر) ١٨٥٦/٤، ح ٢٣٨٤].

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على فضلها، وسبقها، وعلو شأنها في الدين، وعظيم مكانتها عند رسول الله ﷺ وفي هذا أكبر رد على هذا الرافضي الذي يتساءل مكابراً: لأي شيء استحققت عائشة هذا التقدير! فنقول له: لما ثبت من فضلها على لسان رسول الله ﷺ، وتفردها بتلك المناقب العظيمة التي لم يشاركها فيها أحد من أمهات المؤمنين عدا خديجة — عليها السلام — في تسليم جبريل عليها [حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ عَنْ عُمَارَةَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَأَقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمَنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ] كما هو ثابت في الصحيح. [انظر: صحيح البخاري: (كتاب فضائل الصحابة، باب تزوج النبي ﷺ خديجة وفضلها حديث رقم ٣٥٣٦)، فتح الباري ١٣٣/٧-١٣٤، ح ٣٨٢٠، ومسلم: (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة) ١٨٨٧/٤، ح ٢٤٣٢].

وأرجو أن تتأمل قول السيدة خديجة وهي تعقب على قول جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ [فَأَقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمَنِّي] حيث قالت: الله هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام.

فهي لم تقل وعلى الله السلام كما نقول نحن فهذا لا يصح في شأنه تعالى وإنما قالت: الله هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام.. رضي الله تعالى عنها، فلقد كانت فقيهة وهي أول من استدل على نبوة زوجها بحسن أخلاقه.

وأما قول الرافضي وفيهن (أي أمهات المؤمنين) من هي أفضل منها بتصريح رسول الله ﷺ فلعله يريد بذلك خديجة — رضي الله عنها — وهذا غير مسلم، فالمفاضلة بين خديجة وعائشة محل نزاع كبير بين العلماء المحققين، وذلك أن العلماء متفقون على أن أفضل نساء الأمة، خديجة وعائشة وفاطمة، ثم اختلفوا بعد ذلك في المفاضلة بينهن — رضي الله عنهن —.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأفضل نساء هذه الأمة خديجة، وعائشة، وفاطمة، وفي تفضيل بعضهن على بعض نزاع».[مجموع الفتاوى ٣٩٤/٤].

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن خديجة وعائشة أمي المؤمنين أيهما أفضل؟ فأجاب: «بأن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام ونصرها وقيامها في الدين لم تشاركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين، وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل الدين وتبليغه إلى الأمة وإدراكها من العلم ما لم تشاركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها». [مجموع الفتاوى ٣٩٣/٤]

وقال ابن حجر: «وقيل انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة وبقي الخلاف بين عائشة وخديجة». [فتح الباري ١٠٩/٧]

وقال في شرح حديث أبي هريرة وأن جبريل أتى النبي ﷺ وأمره أن يقرأ خديجة السلام من ربها وفيه: «قال السهيلي: استدل بهذه القصة أبو بكر بن داود على أن خديجة أفضل من عائشة لأن عائشة سلم عليها جبريل من قبل نفسه، وخديجة أبلغها السلام من ربها»، وزعم ابن العربي أنه لا خلاف في أن خديجة أفضل من عائشة، ورد بأن الخلاف ثابت قديماً، وإن كان الراجح أفضلية خديجة بهذا وبما تقدم». [فتح الباري ١٣٩/٧].

والمقصود هنا أن الخلاف بين العلماء في المفاضلة بين خديجة وعائشة مشهور، وليس المقام هنا مقام تحرير الخلاف في ذلك، وإنما القصد هو بيان بطلان دعوى الرافضي في زعمه أن النبي ﷺ قد نص على تفضيل خديجة على عائشة وصرح بذلك إذ لو حصل ذلك لما اختلف العلماء هذا الاختلاف الكبير في المفاضلة بينهما.

وعلى كل حال فليس فضل إحداهما على الأخرى بمطعن على المفضولة، بل في هذا أكبر دليل على علو مكانة هؤلاء النساء الثلاث (فاطمة وخديجة وعائشة) حيث إن الخلاف لم يخرج عنهن في أنهن أفضل نساء الأمة، وهذا نقيض ما قصده الرافضي الحاقق، فإنه إنما أراد بتفضيل خديجة على عائشة تنقص عائشة وهذا من جهله وقلة فهمه، فما الذي يضر عائشة لو كانت ثانية أو ثالثة نساء الأمة في الفضل، وهل هذا مدعاة لاحترامها وتقديرها أم للنيل منها والطعن فيها!!! الحكم في هذا لك أيها القارئ وبه تعرف مدى ضلال هؤلاء الرافضة وبلادة أفهامهم وسخف عقولهم.